# القسم الأول

## الكتابة ، والرسالة ، والورق

### الكتابة :

درج الانسان فى مدارج المدنية ، ووجد لزاما عليه أن يبتكر طريقة للكتابة لأسباب : أهمها تسجيل ما يجب عليه استذكاره من شؤونه وضرورة التخاطب مع أشخاص بعيدين ، وحماية الممتلكات الشخصية من أدوات وماشية وغيرها بعلامات مميزة لها ، لهذا كله ابتكر الانسان الكتابة . ولما تعلمها خصيصا للأغراض الآنفة . خطر له بعدئذ أن يستغلها لتسجيل أناشيده وصلواته . و إثبات أفكاره وأقواله .

وكانت الكتابة فى نمطها الأول مجرّد نقوش على الأحجار . يرسمها الكاتب و يتعهدها قاطع الحجر بالحفر . ولم يكن لزاما أن يلم قاطع الأحجار بأصول الكتابة والقراءة ، مادام عليه فقط أن يحفر ما رسمه له الكاتب . ولذلك يجوز لنا القول بأن قليلين جدا من القدماء تعلموا الكتابة ، وأقل منهم من كان فى مقدورهم أن يقرأوا ما هو مكتوب .

ويرجع عهد أول التجارب التى حاولها الانسان لإثبات أفكاره وأقواله إلى أقدم عصور التاريخ . فبدأ باثباتها على الحجر فى شكل صور

ورسوم اصطلح عليها الناس وتواضعوا على فهم معناها . ولم تصل الكتابة إلى هذا الكمال ، الذى يعتبر مظهرا بديعا من مظاهر تطور المدنية الانسانية إلا بعد آلاف من الأعوام . تقلبت خلالها فى أدوار ثلاثة : (أولها) الصور ، (ثانيها) المقاطع ، (ثالثها) الحروف الهجائية .

وقد خضعت الكتابة المصرية القديمة لهذه الأدوار ، وتقلبت فى أطوار ثلاثة :

طائر ومعناه كذلك صغر الحجم .

جناح ويؤدى معنى الارتفاع .

بيضة وتؤدى معنى النوع

تمساح ويؤدى معنى التجسس .

(الطور الأول) حوالى ٤٠٠٠ سنة ق.م ، وكانت تعرف فيه بالهيروغليفية ، وهى عبارة عن صور تدل على نفسها ، وقد تتعدى دلالتها إلى ما يمكن أن يفهمه الانسان منها بالبديهة كما ترى فى الصور التى إلى جانب هذا الكلام .


سمكة وتؤدى معنى الصيد .

ثعبان .

شجرة .

غصن جاف .

(الهيروغليفية ومدلولاتها)

(الطور الثانى) حوالى سنة ٢٢٠٠ ق . م ، وكانت تعرف فيه بالهيراطيقية ، وهى عبارة عن الهيروغليفية معدلة بما يؤدى إلى القصد فيما يبذل فى رسم الهيروغليفية من جهد ووقت ، وترى هنا رسما يبين كيف اقتبست الهيراطيقية من الهيروغليفية .

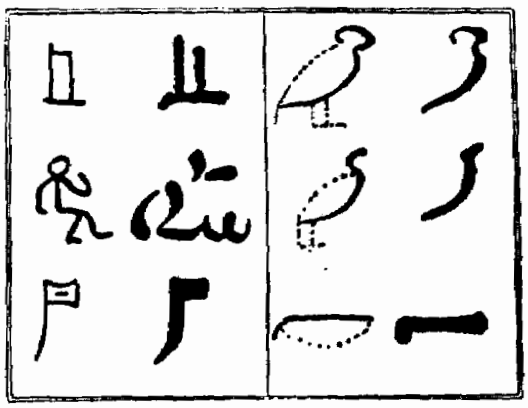
(الهيراطيقية والهيروغليفية)

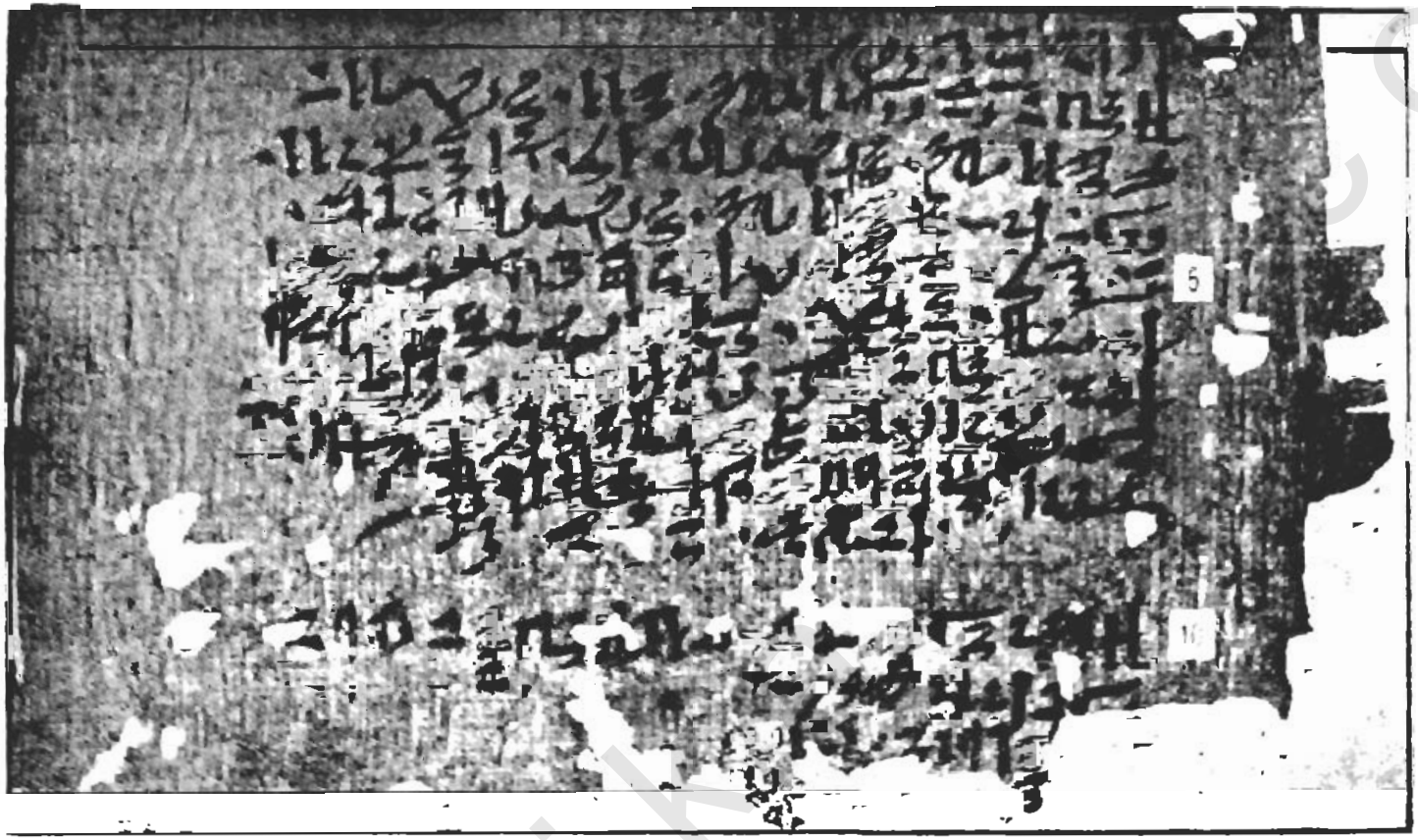

( خطاب باللغة الهيراطيقية )

و(الطور الثالث) حوالى سنة ٨٠٠ ق . م . وكانت تعرف فيه بالديموطيقية . وهى اختصار جديد للهيراطيقية . خرج بها كثيرا عن الأصل الهيروغليفى حتى أصبحت أشبه بكتابة جديدة مستقلة تمام الاستقلال.

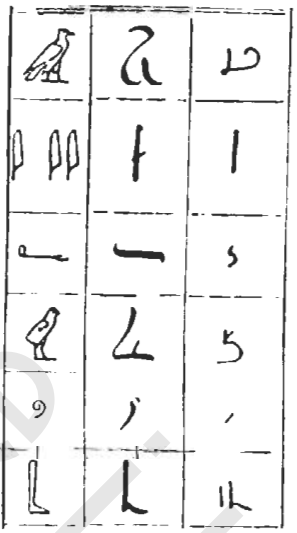

(الديموطيقية والهيراطيقية والهيروغليفية)

وكانت الهيروغليفية تكتب أفقيا أو رأسيا ويدل اتجاه رؤوس الحيوانات على كيفية اتجاه الكتابة . أما الهيراطيقية والديموطيقية فكانتا تكتبان من اليمين إلى اليسار .

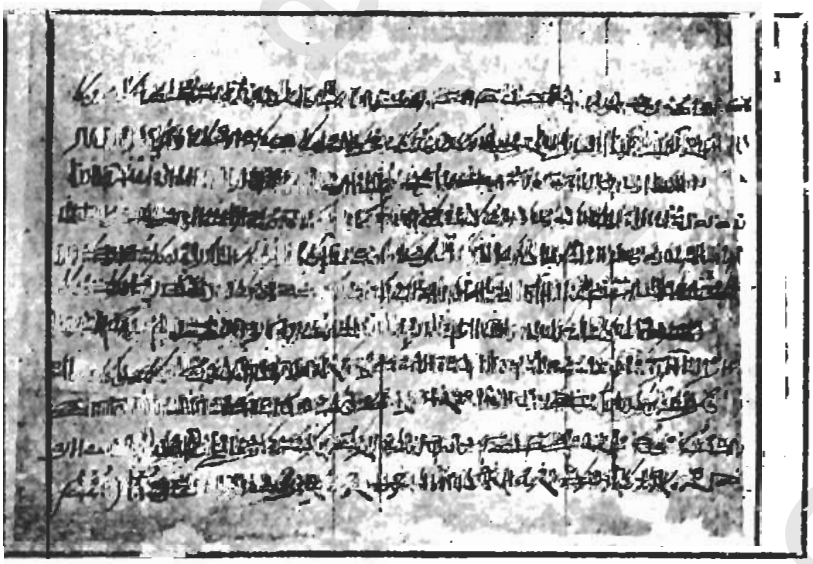

( خطاب بلغة الديموطيقية مكتوب على ورق بردى )

وقد ظلت الكتابة الهيروغليفية طلسما غامضا لا يهتدى الباحثون إلى معرفة معناها. حتى عثر الكابتن بوشار (من رجال الحملة الفرنسية) فى أغسطس سنة ١٧٩٩م على حجر رشيد المشهور فى قلعة قديمة

على بعد سبعة كيلو مترات شمال غرب مدينة رشيد . وقد نقش على هـذا الحجر أمر ملكى يرجع تاريخه إلى عهد البطالسة ( بطليموس الخامس سنة ١٩٦ ق . م) . وهـذا الأمر مكتوب بالهيروغليفية والديموطيقية والاغريقية. وبمقارنة هذه الكتابات الثلاث . استطاع العلامة الفرنسى چان فرنسوا شامپليون أن يحل رموز الهيروغليفية . وأن يعرف معنى ما كتب منها على الآثار المصرية القديمة .

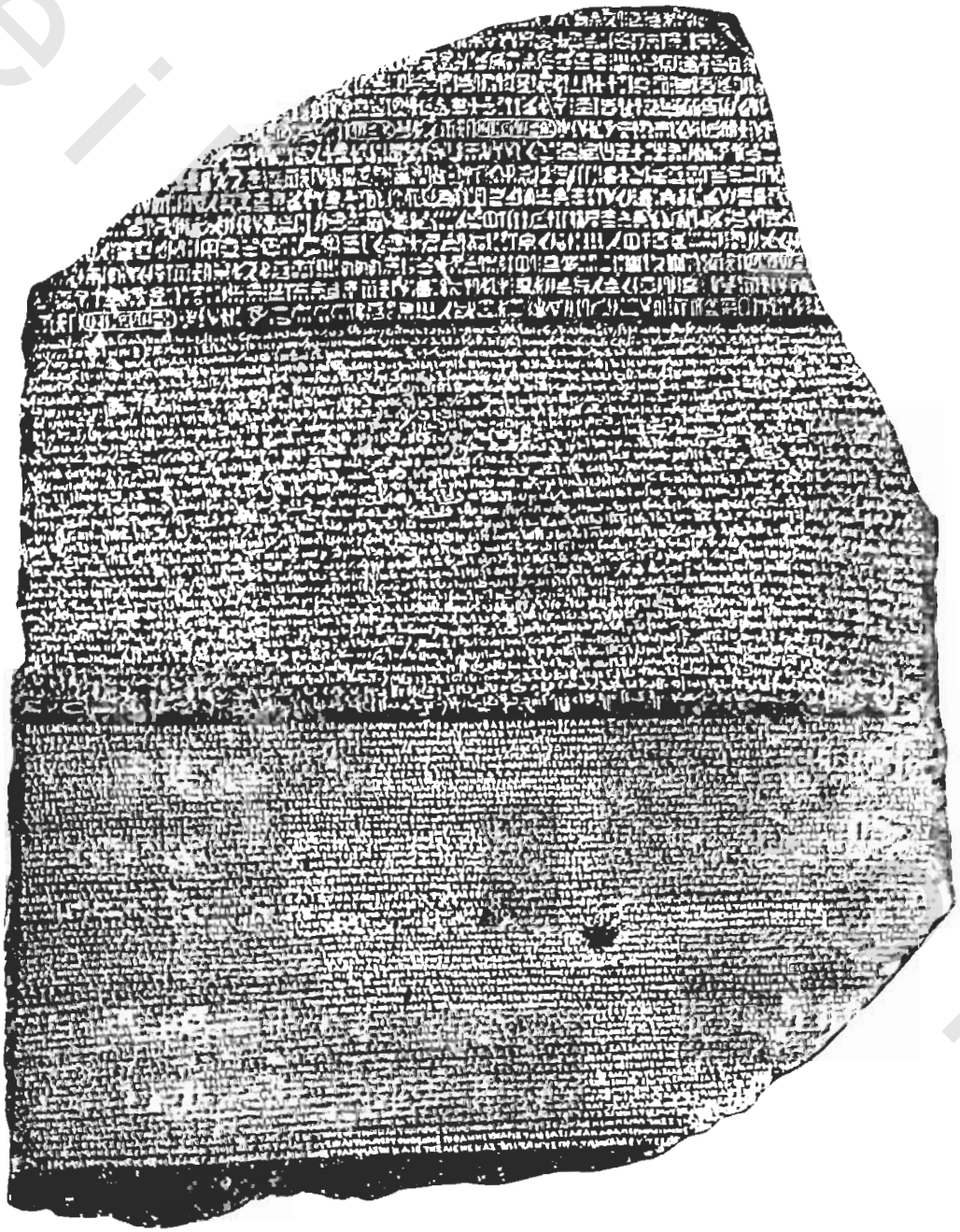

(حجر رشيد)

والظاهر أن الكتابة الهيروغليفية لم تستقم بحيث تؤدى المعنى المطلوب أحسن الأداء إلا فى عهد الأسرة الأولى ، وأقدم كتابة مفهومة وصلت الينا من عهد هذه الأسرة هى نقوش اللوحة المعروفة باسم لوحة نارمر .

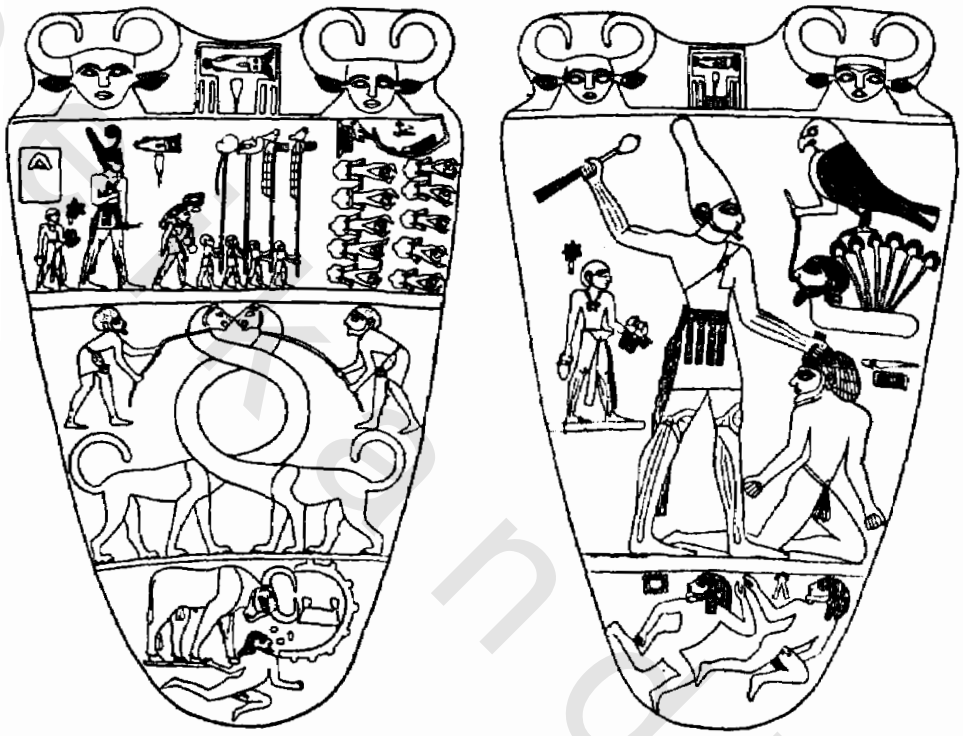

( لوحة نارمر )

وعلى أحد وجهى هذه اللوحة صورة الملك نارمر، وعلى رأسه تاج الوجهين البحرى والقبلى . والصورة تمثله وهو يقدم قربانا للآله هورس ، وعلى الوجه الآخر صورتان إحداهما تمثل الموكب الملكى والأخرى تمثل تقديم أسرى الأعداء قربانا للآلهة .

الكتابة القبطية

وقد انتشرت الكتابة الديموطيقية فى عصر البطالسة، ولما اعتنق المصريون المسيحية، هجروا الكتابة القديمة لما فيها من تعقيد، واتخذوا

لأنفسهم كتابة جديدة اقتبسوها من الحروف الإغريقية ، وأضافوا إليها من الديموطيقية ستة حروف تعبر عن أصوات لاوجود لها فى الحروف اليونانية القديمة. وقد عرفت بالكتابة القبطية، وظل الناس يستعملونها حتى كان الفتح الإسلامى ، فحلت اللغة العربية فى مصر محل اللغة القبطية التى اقتصر فى استعمالها بعد ذلك على الطقوس الدينية فى الكنائس .

الكتابة العربية

وقد تغلغلت محبة الخط العربى فى النفوس نظرا لجماله واختصاره، وبلغت العناية به فى عصر المماليك مبلغا عظيما يلمسه المتأخرون فيما نقش وكتب على المساجد التى تخلفت عن ذلك العصر .

حروف التاج

ولما انتقلت الخلافة إلى الأتراك ، أخذوا نصيبهم من العناية بالخط العربى وأتقنوه وافتنوا فيه ، ثم حدث الانقلاب الأخير واستعاض الأتراك الحروف اللاتينية عن الخط العربى ، فأوشك بذلك نجمه أن يأفل ،لولا أن تداركته عناية حضرة صاحب الجلالة "فؤاد الأول" ملك مصر، الذى عز عليه أن يرى هذا النوع العريق من الفن الجميل تكاد أصوله تندرس ، فألقى إليه باله ، وأمر بانشاء معاهد لتعليم الخط بأنواعه المختلفة، وأخذ يرعاها ويشجع طلابها بالجوائز، ثم رأى بجلالته أخذا بسنة التجديد ورغبة فى رفع مستوى الكتابة والخط ، أن تبتكر صور للحروف الهجائية غير بعيدة الشبه بالحروف العادية تؤدى ما تؤديه

الحروف الكبيرة فى اللغات الأجنبية ، فأثمر هذا الرأى السديد حروف التاج التى زادت الكتابة العربية روعة، وأكملت فيها نقصا، وأعادت الى الخط العربى شبابه ورونقه :

ا ب ج د ه و ز ح ط ى

( نماذج من حروف التاج وما يقابلها من الحروف العادية )

## الرسالة :

حفظت لنا الصخور الضخمة، والآثار القديمة الشاهقة، كثيرا من النقوش الهيروغليفية التى لم يقصد بها ولاشك أن تكون رسائل، لأن الرسالة بمعناها الصحيح هى ما يكتبه ويبعث به شخص لآخر. وإذن فالرسالة لم توجد قبل أن يتمكن الإنسان من النقش أو الكتابة على مواد يسهل حملها ونقلها ، وقبل أن يبتدع الإنسان الكتابة ،كانت الرسالة عبارة عن رموز مفهومة تؤدى المعنى المقصود ، يحملها رسل يوفدون من امة إلى امة، او من فرد إلى فرد ، فكان يرمز إلى الحرب مثلا بالمشعل ، وإلى السلم بفسائل النخيل ، غير أن هذه الرموز لم تكن

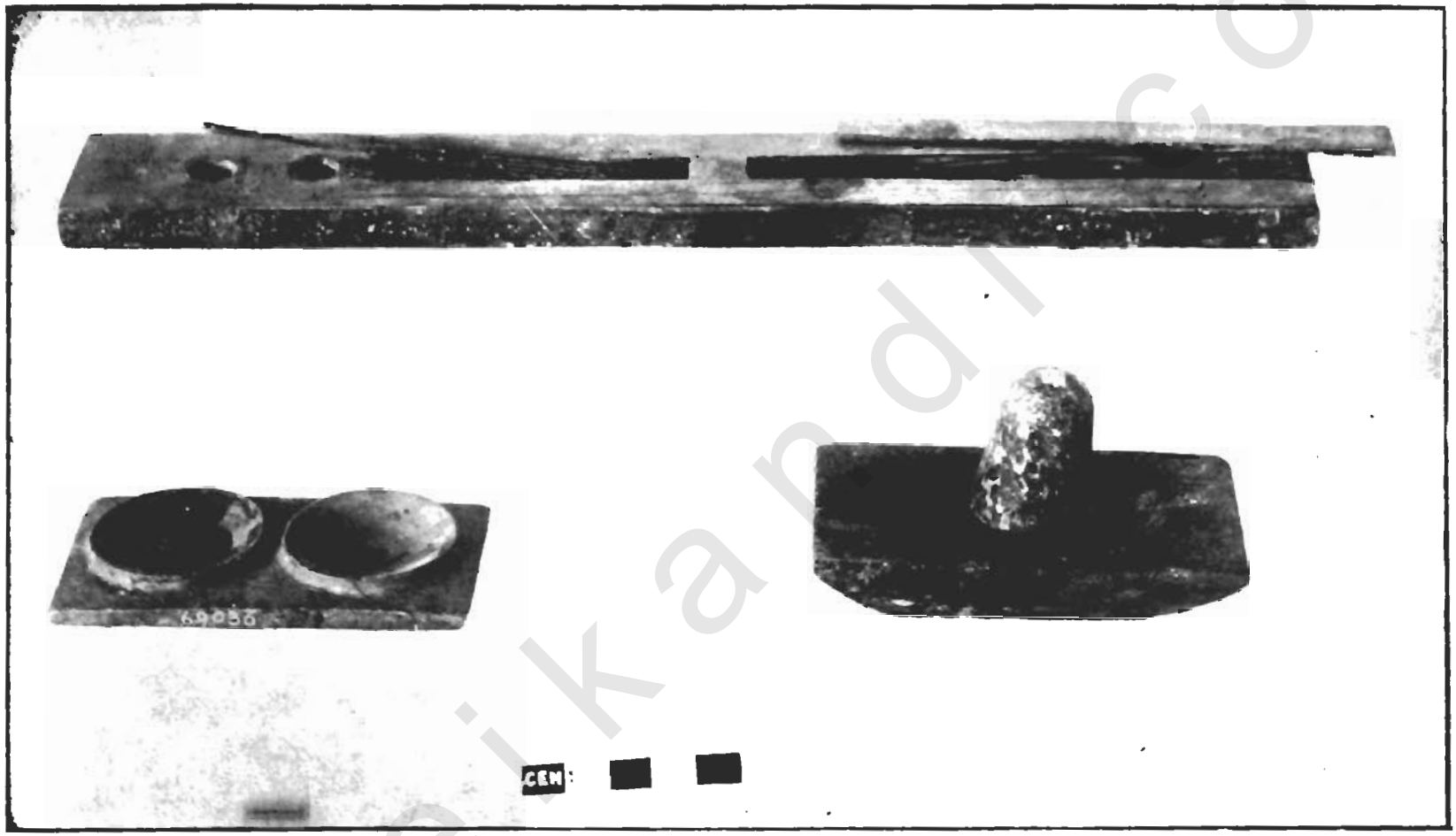


( مواد تكتابة عند قدماء المصريين )

obeikandl.com

تكفل سرية المراسلات . فلما ابتدعت الحروف ، ولم يكن يفهمها غير قلائل ، وجد أنها تكفل السرية المطلوبة ، فاستخدمت فى المراسلات وأسميت الرسالة المكتوبة كتابا أو خطابا .

وكانت الرسالة تنقش على الطين ثم تحرق ، أو تكتب على الجلود وقشور الشجر ، واستعمل المصريون الشقافة فى الكتابة ، وقد وجدت رسائل كثيرة من هذا النوع فى أصوان .

واستعملوا كذلك ألواح الخشب المكسوة بالجمع ( الشمع ) ، وكانت هذه الألواح أصلح من غيرها ، لأنها تعمر طويلا وتستخدم مرارا بازالة الكتابة عنها بسهولة عند الاقتضاء ، ثم استعاضوا عن هذه الألواح بلفائف البردى والرق ، وكانوا يستعملون فى كتابتها أقلاما من الغاب يهذبونها ويدببونها ويغمسونها فى مداد أسود مصنوع من الصمغ والعثان ( الهباب ) ، بل وكانوا يكتبون بالمداد الأحمر فى أحوال استثنائية .

واستعمل غير المصريين غير هذا وذاك من المواد ، فكتب الصينيون على الخشب والمعادن والحرير ، وكتب الهنود على خوص النخيل .

صيانة الرسائل

ولما أصبحت الكتابة والقراءة مشاعا بين الجميع ، اشتدت الحاجة إلى وسيلة لصيانة محتويات المراسلات من عيون الفضوليين ، فكانت أوراق البردى تعقد بالخيوط عقدا محكما ، ثم تختم أطراف الخيوط بالطين ثم بالجمع .

( رسائل صينية قديمة )

وكان أهل بابل يكتبون رسائلهم بالخط المسمارى على ألواح من الطين . ويضعونها فى أغلفة من الطين كذلك . ثم يحرقونها فلا تتسنى قراءة الرسالة إلا بكسر الغلاف .

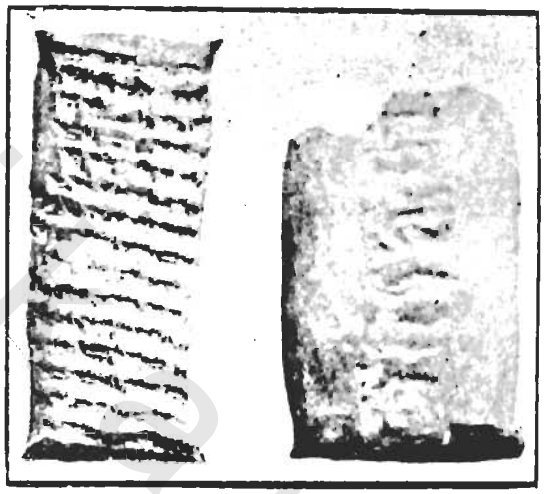

(رسالة وغلاف مكتوبان بالخط المسمارى ويرجع عهدهما
الى سنة ٢٠٠٠ ق.م)

أما أهل اسبارتا . فانهم احتفظوا بسرية خطاباتهم باستعمال رسالة العصى (Scytales) . وهى عبارة عن عصا يلفون عليها شريطا من الجلد . ويكتبون على الشريط بعد ذلك ما يريدون . ثم يحلونه وبذلك لا تتسنى قراءة الرسالة لغير المرسل اليه . الذى يتعين أن تكون فى حوزته عصا فى ضخامة تلك التى استعملها المرسل .

وعند ما استعمل الناس الورق للكتابة . أخذوا يطوون رسائلهم ويختمونها من الخارج . ثم برموا بهذه العملية و راحوا يودعون رسائلهم أغلفة منفصلة . وكان العرب أول من صنع أغلفة الورق للرسائل . وقد صنعوها بأيديهم صنعا سقيما .

واستمر الحال كذلك. حتى ابتكر أحد الانجليز فى سنة ١٨٦٧ . غلافا منتظما هو المستعمل حتى الآن .

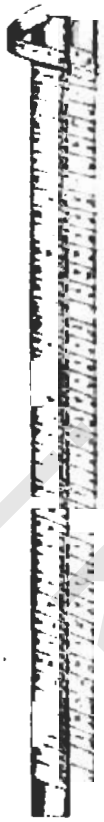

(رسالة العصا)

## الورق :

كان شجر البردى من أكثر الأشجار نموا فى أرض الدلتا . وقد ذكر المؤرخ هيرودوت أن بعض المصريين كانوا يقتاتون بلباب هذا الشجر . وقد صنع منه قدماء المصريين الورق . بأن كانوا يضعون شرائحه بجانب بعضها البعض ، حتى إذا اكتملت لديهم طبقة وضعوا فوقها طبقة أخرى . بحيث تتقاطع شرائح الطبقتين . ثم يلصقون هاتين الطبقتين ويضغطونهما ويتركونهما حتى يجفا . وبذلك كانوا يحصلون على مادة قريبة الشبه بالورق المعروف حاليا .

وعن المصريين اقتبس الإغريق والرومان طريقة استعمال ورق البردى للكتابة . وظل هذا الورق مستعملا فى أوروبا حتى بداية القرن الثانى عشر . حين كان المصريون قد استعاضوا عن البردى بالورق العادى .

وإلى الصينيين يرجع الفضل فى صنع الورق . فانهم صنعوه فى القرن الثانى قبل الميلاد . واحتفظوا بسر صناعته . حتى احتل العرب مدينة سمرقند فى سنة ٧٥١ ميلادية . وقد حدث أثناء احتلالهم هذه المدينة أنهم اصطدموا بالصينيين . فأسر القائد العربى منهم من باح له بسر صناعة الورق .

وكان العرب فى مصر يصنعون ورق البردى. ويستعملونه للكتابة حتى بداية القرن التاسع. ثم صنعوا الورق العادى. وانتقلت طريقة

( قديم رسالة كتبت على الورق )

صنعه إلى أسبانيا فى بداية القرن الثانى عشر. وانتشرت فى أوروبا بعد ذلك .